Larry Collins and Dominique Lapierre, O Jérusalem (Paris: Robert Laffont, 1971).

« ان نسيتك يا اورشليم تنس يميني » بهذه العبارة من المزمور ١٣٧: (نشيد ابناء اسرائيل المسبيين) ينتتح المؤلفان كتابهما الاخير الذي يدور موضوعه حول « صراع عام ١٩٤٨ من اجل مدينة القدس » . والمؤلفان : صحفيان فرنسي واميركي سبق ان حازا على شهرة واسعة بعد ظهور كتابهما « هل تحترق باريس ؟ » حول تحرير باريس عام ١٩٤٤ ، الذي حمل الى الشاشة السينمائية، مما يجعل نفس المصير محتملا بالنسبة للكتاب الجديد . والكتاب : هو عبارة عن ٦٠٠ صفحة هي خلاصة — على حد تعبير المؤلفين « ٢٥٠،٠٠٠ كيلومتر من المسافات المقطوعة في الشرق الاوسط ، واوروبا واميركا + ٢٠٠٠ مقابلة + ٦٠٠٠ صفحة من الوثائق + جهود ٢٠ بحاثة + ٥٠٠ كيلوغرام من الوثائق السرية » . وهذا الحجم لم يمنع الكتاب من ان يحتل رأس قائمة الكتب الاكثر مبيعا في فرنسا خلال اكثر من ١٥ اسبوعا ، وما زال كذلك حتى كتابة هذه الاسطر . والاسلوب: قصصي لا يأخذ بعين الاعتبار قطعا الدقة التاريخية ، بقدر تركيزه على بعض الجوانب (الهامة منها والثانوية) التي تشوق القارىء الاوروبي العادي وتثير عواطفه .

الموضوع كما يلخصه المؤلفان هو « قصة مدينة اصبحت رمز صراع بين اخوة . هي قصة القائد العربي عبدالقادر (الحسيني) ، قدوة فدائيي الحاضر ، الذي نزل من الجبال لمحاصرة المدينة المقدسة . هي قصة ١٠٠ الف يهودي محاصرين في المدينة ومهددين بالموت جوعا وعطشا تحت وابل القنابل العربية ... هي قصة مئات الهاربين من معسكرات النازية الذين ضحوا بحياتهم من اجل الحصول على حق الدخول الى ارض الميعاد . هي قصة البدو النبلاء في الجيش العربي آتين لانقاذ المسجد الاقصى ... هي قصة الجنود البريطانيين الذين أتوا لاحلال السلام فتبنوا عواطف الطرفين وانضموا لاحدهما او للاخر ... هي قصة جولدا مئير متخفية بلباس امرأة عربية لتقابل سرا الملك عبدالله في محاولة اخيرة لانقاذ السلام الخ..» (الغلاف) .

الكلمات نفسها في هذه التقدمة كافية للايحاء بمخطط الكتاب : محاولة ذكية من المؤلفين لتفادي الطرح الاحادي الجانب ، وذلك برواية الاحداث في معسكر كل طرف ، والايحاء بالتالي « بموضوعية» العرض . وفي الوقت نفسه ، لم يتمكنا من اخفاء عطفهما على الجانب الصهيوني وتفهمهما لمنطلقاته واعماله ، رغم تفادي التعرض مباشرة للجانب العربي ، اللهم الا من خلال طريقة العرض والتركيز على جانب معين (كوحشية بعض العمليات مثلا) .

الكتاب اذا ليس من نوع الكتب الصهيونية التقليدية التي تتغافل وجهة النظر الفلسطينية ، وتصور الغزو الصهيوني في اجمل الاثواب . (هناك مثلا وصف مطول لمجزرة دير ياسين [ص ٢٨٥ — ٢٩٦] وادانة واضحة لها من خلال حديث ممثل الصليب الاحمر جاك دو رينييه) . وهو ليس بالطبع تسجيلا مجردا للاحداث (فموقف ومشاعر المؤلفين تجاه « التجربة الصهيونية » واضحة في كل سطر منه) . وانما هو مجهود منهما للتعرض لجوانب مختلفة من الحقبة التي تلت قرار التقسيم ، مجهود تتحكم فيه بالطبع الحدود الايديولوجية التي يدوران فيها ، والتي لا تسمح لهما بتقييم تلك الاحداث بشكل موضوعي علمي . ولكنه مجهود يحتاج الى اهتمام اكثر من ادانة عابرة ، والقول بأنهما صهيونيان وكفى الله المؤمنين شر التحليل .

الصورة العامة التي تفرضها قراءة الكتاب على القارىء العادي بالامكان تلخيصها كالتالي : في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ صوتت اغلبية الجمعية العمومية للامم المتحدة الى جانب قرار التقسيم ، وذلك بفعل الضغوط الاميركية على دول العالم الثالث (ص ٢٦) . ورغم ذلك ، فالقرار اكثر المشاريع حكمة (ص ١٠٤) واقربها الى حل التناقض القائم على ارض فلسطين بين شعبين ، اليهود* والعرب، لكل منهما الحق في العيش عليها

---

* مفهوم الكاتبين اليميني يجعلهما يستعملان لفظ اليهود حيث يتحتم علميا استعمال لفظ الصهيونيين في معظم الاحوال . سنحافظ على تعابيرهما في التلخيص ، وعلى القارىء ان يقدر متى تصح اللفظة ومتى يجب استبدالها .